التعريف والتنقيب

نستحدث هذا الباب ونتبسط فيه إرادة أن تندبر ما يتصل بقضايا الفكر وما يدخل في شؤون الذوق، فنجريه إلى غايتين: إحداهما مراجعة بعض ما يخرج في العلم والأدب والفن كتابةً أو أداء، والأخرى نشر ما انطوى من الفنائن المخطوطة أو المهملة. ومقصدنا أن يصبح هذا الباب مرجعاً للمستطلع السائل ومعرضاً للمستبصر الراكن. هذا ويشترك في إنشاء الباب نفر من أهل النظر وأعداء الهوى.

بشر فارس

المقتطف، يناير ١٩٤٥

المشتمل

سنة مضت

صورتان من الفن العربي في دمشق

١ — الكتب

أبو نواس	نقد	بقلم محمد عبد الغني حسن
جمهور أرسطفانس	—	— وهيب كامل
رسالة الملائكة	—	— رفعت فتح الله
كتاب فتوح إفريقية والأندلس	—	— زكي محمد حسن

كتب ظهرت :

تاريخ جرح — جبران خليل جبران — رسالة الهناء - الشوامخ — الغرر التاريخية في الأسرة اليازجية نقد بقلم *

٢ — المجلات

«الأديب» العدد الخاص بأبي العلاء بقلم عبد السلام محمد هارون

٣ — المسرح

صفق الجمهور فصفق النقاد — زكي طليمات

٤ — الاستدراك

الامتاع والمؤانسة الجزء الثالث — مصطفى جواد

٥ — المسائل

الأديب وحرفته — بشر فارس

وفي أيّام ازدهار هذا الخليج وارتياده من أهل الخلاعة والقصف وذوي الآداب والظرف عُمّرت البقاع المطلّة عليه، فأنشأ الناس به ديارا جليلة تناهى أربابها في إحكام بنائها وتحسين سقوفها، وبالغوا في زخرفتها بالرخام والدهان وغرسوا بها الأشجار، وأجروا إليها المياه من الآبار، فكانت تُعدّ من المساكن البديعة النزهة، فكم حوت تلك الديار، من حسن ومستحسن»، قال مَن شاهدها: «ما مررتُ بها قط إلاّ وتبيّن لي من كلّ دار هناك آثار النعيم، إما روائح تقالي المطابخ، أو عبير بخور العود والندّ، أو نفحات الخمر، أو صوت غناء، أو دقّ هاون ونحو ذلك، مما يبين عن ترف سكان تلك الديار ورفاهة عيشهم وغضارة نعمهم. ثم هي الآن موحشة خراب، قد هدمت تلك المنازل وبيعت أنقاضها منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة، فزالت الطرق وجهلت الأزقة» تلك هي العاقبة «وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا»[1]

الضرائب والعشور بمصر

كان الاهتمام بأمر هذه الثغور على مدى السنين عناية يأتي في طليعة الأعمال الرئيسة وقد وقفنا على تقليد الخليفة إلى السلطان من إنشاء فخر الدين بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء بمصر في حدود سنة تسع وخمسين وستمائة يقول له فيه: «... واجعل أمرها (الثغور) على الأمور مقدماً، وشيد منها كل ما غادره العدو مهدماً، فهذه حصون بها يحصل الانتفاع، وهي على العدو داعية افتراق لا اجتماع، وأولاها بالاهتمام ما كان البحر لمجاوراً والعدوّ له ملتفتاً ناظراً، لاسيما ثغور الديار المصرية، فإن العدو وصل إليها راتعاً وراح خاسراً، واستأصلهم الله فيها حتى ما أبقى منهم عاثراً»[2]. وهنالك عامل آخر غير صد الغزاة والطامعين، هو استيفاء الضرائب والعشور، وهي من الأسس التي عليها تُروة البلاد، وقد كانت المآثر بمصر تعين الضرائبيين على إتمام عملهم على الوجه الحسن. وذكر البشاري المقدسي أن الضرائب بمصر كانت ثقيلة خاصة بتنيس ودمياط وعلى ساحل النيل، فقد كان «يؤخذ بتنيس على زق الزيت دينار، ومثل هذا وأشباهه، ثم على شط النيل بالفسطاط ضرائب ثقال. رأيت بساحل تنيس ضرائبيًّا جالساً قبل قبالة هذا الموضع في كل يوم ألف دينار، ومثله جلة على ساحل البحر بالصعيد وساحل الإسكندرية، وبالإسكندرية أيضاً على مراكب الغرب، وبالفرما على مراكب الشام، ويؤخذ بالقلزم من كل حمل درهم»[3]. ولما شاهد حسن فيما يرويه الرحالة

(١) سورة الاسراء (١٧: ١٥) (٢) السلوك للمقريزي (١: ٤٥٦—٤٥٧)، وراجع بهذا الصدد: مقدمة ابن خلدون (٢: ٣٢—٤٠، طبع باريس)، وصبح الاعشى (٣: ٥٢٣—٥٢٤).
(٣) أحسن التقاسيم (ص ٢١٣)

ابن جبير، الذي وصل ثغر الإسكندرية في يوم السبت ثاني ذي الحجة من سنة ٥٧٨ للهجرة، قال: « فمن أول ما شاهدنا فيها يوم نزولنا أن طلع أمناء إلى المركب من قبل السلطان بها، لتقييد جميع ما جلب فيه، فاستحضر جميع من كان فيه من المسلمين واحداً واحداً، وكتبت أسماؤهم وصفاتهم وأسماء بلادهم، وسئل كل واحد عما لديه من سلع أو نائن ليؤدي زكاة ذلك كله دون أن يبحث عما حال عليه الحول من ذلك أو ما لم يحل »[1].

خاتمة البحث

هذا ما انتهى إلينا من أخبار المآثر، وهو كما رأيت، كلام جمعت أجزاؤه من غير كتاب، وضمت فوائده بعد أن كانت منثورة في كثير من المظان، تلك التي حاولنا جهد الطاقة أن نجمع أشتاتها، ونفصل ما بين حلقاتها لنخرجها على الوجه الذي بين يديك.

وقد بان لك من مطاوي البحث أن هذه المآثر بصنفيها: النهري والبحري، كانت جليلة القدر، عظيمة الخطر، وعلى أيديها كانت تنتظم أمور الحرب وسبل التجارة مدى أجيال كثيرة في بلدان الروم والاسلام.

« بغداد » ميخائيل عواد

﴿ الذيل ﴾

(١) الخليج على ما في التاج: نهر في شق من النهر الأعظم وجمعه النهر خلجاه، وأنشد:

إلى فتى فاض أكف الفتيان فيض الخليج مده خليجان

وفي الحديث أن فلاناً ساق خليجاً، الخليج نهر يقتطع من النهر الأعظم إلى موضع ينتفع به فيه. والخليج شرم من البحر. وقال ابن سيده: هو ما انقطع من معظم الماء لأنه يجبذ منه وقد اختلج. وقيل الخليج شعبة تشعب من الوادي والجمع خلج وخلجان.

(٢) قال في التاج (٣: ١٩٢، مادة خ ا ر): « الخور مثل الغور المنخفض المطمئن من الأرض بين الغشرين؛ والخور: الخليج من البحر، وقيل مصب الماء في البحر، وقيل هو مصب المياه الجارية في البحر إذا اتسع وعرض. وقال غيره: الخور عنق من البحر يدخل في الأرض والجمع خؤور، قال العجاج يصف السفينة:

إذا انتحى مجؤجؤ مسحور وتارة ينقض في الخؤور تقضي البازي من الصقور »

---

(١) رحلة ابن جبير (ص ٣٥ طبع ليدن، ص ٣٩ ـ ٤٠، دي غويه، ص ٧ ـ ٨، ط السعادة)

سنة مضت

رضي نفر من إخوان الصفاء في ألفة الذهن والإخلاص لخلوص الأدب والائتمار بما يرسمه العلم أن يُروا رأيي في استحداث هذا الباب، بل شاءوا أن أكون صاحب توجيهه وتدبيره، فشرفوني بثقتهم. وما أدري هل كنت عند حسن ظنهم بي. (ثم انضم إلى هؤلاء الاخوان بعد ذلك نظراء لهم فضلاء من مصر وغير مصر.)

وكان مقصدنا الأبعد إرضاء فئة من القراء هم شركاؤنا في الصفاء والاخلاص والائتمار ثم تهيئة جيل من القراء ينبذون ما سقط ورخص وزعم. وقد تحيرنا هذه المجلة الجليلة الثابتة لتكون مجال قرائحنا. فأصبنا من أحد منشئيها — مدّ الله في عمره — عونَ العالم وحث الرائد، ثم من رئيس تحريرها ترحيباً وتقويضا.

هذا، وكنا أجمعنا الرأي على أن يكون الأمر على سبيل التجربة مدة سنة كاملة. وهذه اثنا عشر شهراً ولت. فانتهت التجربة. على أنها دلّت — وكم نفرح بالدلالة — أن شركاءنا من القراء كثير، وأن المهذبين من الجيل الطالع منجذبون إلى مثل هذا الجد الصادق. فقد أقبل علينا هؤلاء وهؤلاء من أمصارٍ شتى وراسلونا وأيدونا. فأي ثواب خير من هذا الثواب؟ وإن نحن أمسكنا اليوم عن المضيّ في هذا الباب وطويناه في المقتطف فانما ذلك إلى حين، ريثما تجمع خطوة تلي التي خطوناها فيطّرد النشاط.

ألا شكراً للمقتطف على حفاوته، وسلاماً على من رجع الينا وركن.

ب. ف

١ – الكتب

« أبو نواس » بقلم عبد الرحمن صدقي

١٤ × ١٩ سم ١٩٠ ص عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٩٤٤

قيل إن أبا نواس لم يكن خليقاً أن يكتب في شأنه في سلسلة موقوفة على أعلام الاسلام، وقيل مثل هذا حين أخرج الأستاذ المازني كتابه في هذه السلسلة عن بشار.

وكأنّ الاستاذ عبد الرحمن صدقي توقع الاعتراض على هذا الاختيار، فكتب مقدمة يعلل في شعار منها الحكمة في هذا الاختيار ويدفع عن نفسه وعن صاحب بشار وممّن يعتزمون الكتابة في مثل هذه الشخصية اللاحقة.

غير أن دفاع المؤلف لا يعفيه من الوقوع في اللوم. فإنا لم نعد من الترجمة لأعلام الفقه والسياسة والفتح والفكر حتى نستبق الى الترجمة لأعلام الخلاعة والفجور. إلاّ أن المؤلف قد شاء ذلك؛ فليكن له ما شاء، ولكن لنا أن نقول ما نعتقد.

وهذا الكتاب — في الحق — لم تخرجه العجلة، ولكن أخرجته الأناة وطول الصحبة لأبي نواس. ولهذا تجد فيه الصدق في الترجمة، وحسن التصوير لحياة شاعر شاء القدر الساخر أن يجعله مثلاً للحياة العابثة في العصر العباسي الأول.

وطريق المؤلف في الترجمة طريق صحيحة شائقة. فهو لا يصحب الشاعر من يوم ولادته، ولكن يذهب بعيداً الى أصله والعوامل الفعالة فيه، ولا يزال يعرض ألوان حياته وألوان الحياة التي أحاطت به حتى يشبع فيه الفناء من طول ما عجن، فيتذكر طاعة الله وهو نضر هزيل ... والمؤلف رفيق بصاحبه الشاعر، بل قد يلتمس له العذر فيما وقع فيه، وقد يحمل تمريضه بالدين على محمل الهزل واللهو لا محمل القصد والجد (ص ٦٧).

وكان من الطبعي أن يذكر المؤلف شعراً للشاعر على سبيل الاحتجاج والاستشهاد. ولكن ما بالُه — غفر الله له — لا يتحرى وجه الصحة في الرواية فيكون بعض ما رواه غير مضبوط، أو ناقصاً في الوزن، أو جارياً على غير الرسم الصحيح للشعر. ولو جاز هذا من مؤلف فلن يجوز من عبد الرحمن صدقي الذي ظهرت عنايته بالشعر في كثير من مواضع الكتاب. وما بال من يهدف الى الدقة في صفحة من الكتاب يهملها في صفحة مواجهة؟

في ص ٦٧ : اسقنيها ملأ وفا لا أريد النصفا
والصحيح : اسقنيها ملأ وفا لا أريد النصفا

وفي ص ٨٠ : قد رأينا عربيات يواصلن نبيطا
والرسم الصحيح للبيت : قد رأينا عربيا ت يواصلن نبيطا

وفي ص ٨٣ : لست أحظى به سوى نظر يشركني فيه كل إنسان
والبيت ناقص وتمامه : من لست أحظى به سوى نظر يشركني فيه كل إنسان

وفي ص ٥٩ : تحيرت والنجوم وقف لم يتمكن منها المدار
والصحيح : « لم يتمكن بها المدار » . (راجع ديوان أبي نواس ص ٢٧٤ من طبعة آصاف، وغيرها في ص ٩٢ سطر ٩، ص ٩٩ سطر ١٦) .

ثم إن في شعر أبي نواس كثيراً من الألفاظ التي تنطلق على الافهام ، فسر المؤلف بعضها وأغفل كثيراً منها . وكان خيراً للقراء لو فسرها جميعاً :

ففي ص ١٠٦ فسر كلمة « الجاثليق » وترك جارتها في البيت نفسه وهي كلمة « مطر بليط » والذي أعرفه أنها تعريب لكلمة Metropolite ، وهو منصب رفيع عند المسيحيين .

وفي ص ١١٤ ترك البيت الآتي من غير تفسير ألفاظه :

نبط بنفاح إلى مدمس بين نخيل الطُّن والبَرْنِ

والطُّن : الرُّطَب الأحمر الشديد الحلاوة . والبرني : نوع من التمر العراقي . وهناك كلمات كثيرة جداً في شعر النواسي لم يتعرض لها المؤلف بالشرح ، مثل هذه : قِرَاة القس . ص ١٠٥ ، وشمعلة ص ١٠٦، وآيين ص ١٠٨، ودير نهر أذان ص ١٠٧ .

وقد يفسر المؤلف الكلمة بأخرى أكثر منها غرابة ، كما فسر « الدهليز الأزج » « بالسابَاط » ، والسابَاط أدخل في الغرابة من الدهليز الأزج .

وما كان أتم الترجمة لو أن المؤلف عقد فصلاً في التهكم عند أبي نواس ، بدلاً من الاشارات العابرة إليه . أليس التهكم لوناً من ألوان نفسية الشاعر كان خليقاً باطالة الوقوف لديه ؟

ثم الوفاء يا أخي ! أيكفيك ويكفي أبا نواس أن تتحدث عنه في بضعة أسطر ـ ص ١٧٧ ؟

ولكنها ملاحظات لا تبخس قدر عمل المؤلف ، ولعله مستدركها فيما نرجوه منه من مستقبل الانتاج .

محمد عبد المنعم خفاجي

« جمهور أرسطفانس » بقلم فيكتور إبرنبرج

The People of Aristophanes. by Victor Ehrenberg

٢٤×١٧ سم ٣٢٠ ص والواح أكسفرد ١٩٤٣

هذا الكتاب على اتجاه جديد في دراسة الأدب من ناحية علم الاجتماع، وهذا الاتجاه وليد السنوات الماضية، وروّاده النقاد الجامعيون في فرنسة وإنجلترة وقد أخرجوا أبحاثاً في الأدبين الفرنسي والانجليزي تدور على تعرف صفات البيئة وأخلاق أهلها على ضوء النصوص الأدبية. وفي أدبنا العربي الحديث مثل على ذلك هو بحث في اللغة الفرنسية للدكتور بشر فارس عن « مجرى الأدب في مصر سنة ١٩٣٨ » (١)

أما في نطاق الأدب اليوناني القديم فالرائد هو الأستاذ طمسن Thomson بكتابه الجليل « إيسخيلس والآتينيون » (لندن ١٩٤١)، وتلاه الأستاذ ليتل Little بكتابه « الأساطير والشعب في المسرحية الآتينية » (أكسفرد ١٩٤٢)، والكتاب الذي نحن بصدد مراجعته الآن حلقة في هذه السلسلة الجديدة.

ومؤلف هذا الكتاب هو الأستاذ السابق لتاريخ القديم في جامعة براغة (تشيكوسلوفاكية). وقد أفرد مقالات لدراسة اللابسات الاجتماعية والاقتصادية في آتينة معتمداً كل الاعتماد على النصوص المتبقية من « الكوميدية » (الأضحوكة المسرحية) فجاء كتابه مرجعاً لدراسة أرسطفانس والتاريخ الاجتماعي والاقتصادي لآتينة جميعاً.

وتنفرد الكوميدية في أنواع الأدب في ما تسوقه من شواهد على أحوال البيئة بهذه الميزة: أن هذه الشواهد تجري في الكوميدية عفواً دون قصد، فهي بذلك فوق التجريح وفي ذلك يقول المؤلف: « إن الكوميدية وحدها دون سائر أنواع الأدب تعرض أدلة اجتماعية واقتصادية لا غرض من ورائها سوى إحداث الجو الفني المسرحي » (ص ٦).

ونحن نرى أن الحيطة واجبة هنا على كل حال، فإن تصور الجو الفني المسرحي يتوقف إلى

---

(١) ألقاه في مؤتمر المستشرقين بمدينة بروكسل سنة ١٩٣٨ ونشر في مجلة La Revue du Caire (أغسطس ١٩٤٢) ووصفه المقتطف (دسمبر ١٩٤٢ ص ٥٤٠) قال: « وقيمة هذا البحث في طرافة المادة وملخصها أن الكاتب يبدأ فيجري الحياة الاجتماعية بين التآليف فيستخرج الحالات الذهنية والنفسانية والعقلية والإرادية وتبين النزعات الخفية من ثنايا الكتب »

حد بعيد على وجهة نظر المؤلف المسرحي . هذا وثمة صعوبة أخرى إذ ليس هناك من سبيل إلى التفرقة بين النصوص التي يمكن أن نقف عند المعنى الحرفي في تأويلها والتي ترد مشوهة ممسوخة لأجل إثارة الضحك والسخرية . ولكن مؤلف الكتاب كان حصيفاً في جل ما تناول من شواهد فقد تحذّر وتحوّط .

هذا ، وإن النتائج التي وصل إليها المؤلف — على حداثة الطريقة التي اتبعها في تناول الموضوع — لا تروع القارئ المستطلع إذ ليس فيها من جديد ، والسبب أن كل من عنوا بدراسة الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في آثينة القديمة لم يهملوا النظر في مسرحيات أرسطفانس ولم يغفلوا شاهداً من شواهدها ، ولو أنهم لم يدرسوها تلك الدراسة المستفيضة . ونحن لا نستطيع أن نتخيل صورة للقانون اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد لا تكون مستقاة في بعض دقائقها من مسرحيات أرسطفانس .

وهناك مسائل معدودات نخالف فيها المؤلف ، فقوله إن المحلّفين كانوا يقيدون أسماءهم في مقاطعات مختلفة « ليحصلوا على أكثر من مرتب واحد » (ص ٢٤٢) لا يبدو صحيحاً لنا ، إذ أنهم كانوا يلجأون إلى هذا المسلك ، ليضمنوا اختيارهم في إحدى الدوائر .

ولقد عجبنا للمؤلف كيف يهمل الاستشهاد بالمقطوعة (سطر ١٥٣ — ١٧٠) من مسرحية « آخارنين » في معرض حديثه عن استخدام الجنود المرتزقة في الحرب البيلوبونيزية (ص ٢٢٣) ، فالمقطوعة تدور على كره أهل آثينة لهؤلاء الجند ونفورهم من استخدامهم .

• • •

وبعد ، فهل نحن نرضى عن هذا الاتجاه الجديد في الدرس ؟ أليس من الطرف أن نعد التاريخ الاجتماعي موضوع مسرحيات أرسطفانس ، كما يرى المؤلف (ص ٨٠ وما بعدها) وهل أراد أرسطفانس حقاً لمسرحياته أن تكون وثائق للتاريخ الاجتماعي ؟ (ص ٩٠) . نحن لا ننكر أن بعض مسرحياته وعلى التخصيص پلوتس Plutus كانت معنية أشد العناية بالمشكلتين الاجتماعية والاقتصادية ، إذ تناولت مسألة العدل الاجتماعي وإعادة توزيع الثروة وأثر شهوة الإثراء في الأخلاق . ونحن نوافق أصحاب هذه الدرسة الحديثة على أنه ليس أجدى على دراسة الأدب اليوناني القديم من تبين الصلة الوثيقة بينه وبين أبعد ما يشغلنا الآن من أحداث . ولكن ليس معنى هذا أن نقحم الآثار الفنية الرائعة في مجموعة الوثائق التاريخية ، ولا أن نستقبل هذه الآثار في غير الوجهة التي رسمها أصحابها الخالدون .

رشيد أصل

• رسالة الملائكة • للمعري

بتحقيق وشرح محمد سليم الجندي

٢٠٢ ص ٢٥ × ١٧ سم دمشق ١٩٤٤

قد كان هذا الكتاب دفين المكتبات الخاصة ، ثم انتقل إلى دار الكتب الظاهرية بدمشق ، على حين تناقل الأدباء قطعة منه ظنوها « رسالة الملائكة » . وهذه الرسالة قد طويت تحت أجنحة هذا العنوان ، لأن أبا العلاء ألَّفها في سن الأشياخ ، فتخيل في مطلعها حواره للملائكة يحاول أن يشغلهم بتصريف الألفاظ . . . انظر قوله « والظن إلى الآخرة قريب ، أفترائي أدافع مَلَكَ النفوس فأقول أصل ملك : مألك ، وإنما أخذ من الألوكة ، وهي الرسالة ، ثم قلب ، وبدلنا على ذلك قولهم : للائكة ، في الجمع ، لأن الجموع ترد الأشياء إلى أصولها ، وأنشده قول الشاعر :

فلست لانسيٍّ ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب

فيعجبه ما سمع ، فينظرني ساعة لاشتغاله بما قلت ، فإذا هم بالقبض قلت : وزن مَلَك على هذا القول مَعَل ، لأن الميم زائدة . . . قال عمر بن أبي ربيعة : . . . وأنشد أبو عبيدة : . . . فيقول الملك : من ابن أبي ربيعة ؟ وما أبو عبيدة ؟ وما هذه الأباطيل ؟ إن كان لك عمل صالح فأنت السعيد ، وإلا فاخسأ وراءك ، فأقول أمهلني ساعة حتى أخبرك بوزن عزرائيل ، فأقيم الدليل على أن الهمزة زائدة فيه ، فيقول الملك : هيهات ليس الأمر إليَّ ، إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . أم تراني أداري منكراً ونكيرا فأقول : . . . ؟ » (ص ٥ — ٩) .

وهذه الرسالة — وإن بدئت بالتواضع المغرق — آية على علاء أبي العلاء في علوم العربية ونفاذ رأيه في طرائف اللغة والتصريف ، حتى إنه يوجه الكلمات الأعجمية في المعرَّب العربي فيكاد يخفي سَحْنتها الأعجمية (١) .

وقد جهد الأستاذ الجندي في بحث الرسالة جهداً موفوراً ، وبث في مسائلها شرحاً مفكوراً ، ولعله يتقبل أن نسوق إليه بعض الخواطر التي ساقها نظر الرسالة وشرحها .

(١) قد كان أبو العلاء يعلم أن الأعجمي المعرَّب لا يجري مع الأصول العربية ، ومثل ذلك رد على أبي إسحاق الزجاج (« رسالة الملائكة » ص ٣٨) ولكنه إذا ظفر بالعربية طغى على بعض الكلمات الأعجمية .

جاء في ص ١١٦: « أبو داود (كذا ذكره مرتين) جارية وقيل جويرية بن الحجاج من إياد ابن نزار بن معد، شاعر قديم، يقال إنهُ أوصف الناس للفرس، وأكثر شعره في وصف الخيل »، والذي نعلمه أنه « أبو دُوَاد » (انظر القاموس، وشرحه، والأغاني، والشعر والشعراء، والمؤتلف والمختلف، والخزانة، وغيرها). والبيت الذي ذكره أبو العلاء في هذا الموضع جاء في موضعين من الصحاح واللسان والتاج (ج و ب ؛ ش و ه) ونسبه أصحابها إلى أبي دؤاد، ولولا ما صنعه الشارح في آخر الرسالة لحسبناه من الغلط المطبعي، ولكنه ذكر في « فهرست أسماء الأعلام » (ص ٢٨٨) ما نصه : « جارية بن الحجاج (أبو داود) ١١٦ »، وذكر في ص ٢٩٠ ما نصه : « أبو دؤاد الإيادي ٧٤، ... ».

وجاء في ص ٥٩ قول أبي العلاء : « ولو قال قائل : ما وزن أنْ ؟ (وهي الأمر من آن يؤُون ، أي رفق في السير) لقيل : وزنه قِلْ وأصله أفْعُلْ ، لأنه من باب قتل يقتل ..... ولو نطق بذلك على الأصل لقيل أوُونْ ، بواوين ، الأولى منهما كانت همزة فجعلت واواً . . . وكذلك قالوا : رُوَيَّة ، فجعلوا الهمزة واواً ، ومن قال رُئْيَة في رؤية ، ألزمه القياس أن يقول أوْنْ ، فيدغم » .

وهذا موضع وعر من مواضع التعريف يحتاج إلى ضبط وإحكام ، فما « أوْنْ » ؟ وهل هذا تنوين ؟ والصواب : أوُنْ .

وجاء في ص ٣٠ : « المطيبون خمس قبائل : بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وبنو تيم وبنو زهرة ». وهؤلاء أربع ، فأين الخامسة ؟ لعله سقط منه : « وبنو الحرث بن فهر ».

ولقد كنا نود أن يستكمل الأستاذ الجندي أشياء ذكرها في شرحه دون ترجيح أو رجع إلى الأصول . جاء مثلاً في ص ٢٤ البيت :

فقلت لصاحبي لا تحبسانا بنزع أصوله واجزّ شيحا

وذكر الأستاذ الجندي نسبته إلى يزيد بن الطثرية وإلى مضرس بن ربعي الأسدي ، ثم ذكر شيئاً من ترجمة يزيد . ولعلّ الأستاذ يعلم ردّ العلماء على نسبة البيت إلى يزيد ، ولو رجح نسبته إلى مضرس وذكر شيئاً من قصيدته التي منها هذا البيت لكان أقرب إلى جني التحقيق :

وضيفٍ جاءنا والليلُ داجٍ وريحُ القرّ تحفزُ منه روحا
فطرتُ بمُنْصُلي في يَعْسَلاتٍ يخافُ الوطءَ يخبِطْنَ البَريحا
فعَنَّصَ بساقِ دَوْسَرَةٍ عليها عتيقُ النِّيِّ لم تحفِزْ لقوحا
وقلتُ لصاحبي لا تحبساني بنزْعِ أصوله واجزَّ شيحا

وجاء في ص ٩٢ قول أبي العلاء : « وقد ذكر الفارسي هذا البيت مهموزاً :

أحب المؤقدين إلي مؤسى وجزرة لو أضاء لي الوقود »

وعلى مجاورة الضمة جاز الهمز في : سوق ، جمع : ساق ، في قراءة من قرأ كذلك » . وكان كل ما ذكره الأستاذ الجندي في هذه القراءة قوله : « نسبها البيضاوي إلى ابن كثير » وكان خيراً للأستاذ أن يذكر قول ابن جني — تلميذ الفارسي هامز البيت — في « سر الصناعة » (وقد ذكر كلام شيخه أبي علي) : « وروى قنبل عن ابن كثير : بالسؤق : بهمز الواو ، ووجه ذلك أن الواو وإن كانت ساكنة فإنها قد جاورت ضمة الميم ، فصارت الضمة كأنها فيها ، فمن حيث همزت الواو في نحو : أقّتتْ وأجوه ، لانضمامها كذلك كان همز الواو في : المؤقدين ومؤسى ، على ما قدمناه » .

وجاء في ص ٢٧ ذكر « سفرجل » وتصغيره ، ونقل الأستاذ عن سيبويه في موضعين ، وكان خيراً أن يتم ذلك بذكر كلام سيبويه في الكتاب (ج ٢ ص ١٠٧) .

وكذلك كنا نحب أن يراجع الأستاذ الباحث تصحيح الطبع ، لتقل الأغلاط المطبعية ، ولينبه القارئ عليها إذا كان لها جدول في آخر الكتاب ، ونحن لا نعني بعديدها هنا ، فإن البحث أجلّ من ذلك ، ولكننا نذكر منها مثلاً :

جاء في ص ٥٥ : « لا أنهم ... السنين ... الثواب » والصواب « لا أنهم ... السنين ... الثواب » ... الخ . وكذلك كنا نحب أن يضع الأستاذ الجندي من علائم الترقيم ودلائل الفصل في مفاصل الكلام ما يعبد طريق النظر إليه . وللأستاذ عندنا تقدير كريم .

رفعت فتح الله
أستاذ اللغة العربية بالأزهر

« كتاب فتوح إفريقية والأندلس » لعبد الرحمن بن عبد الحكم

نشره وترجمه : جاتو

Conquête de l'Afrique du Nord et de l'Espagne
Edité et traduit par Gateau

١٤ × ١٩ سم ١٦٣ ص éditions Carbonel الجزائر ١٩٤٢

هذا هو الكتاب الثاني من سلسلة المكتبة العربية الفرنسية — Bibliothèque Arabe Française التي تصدر باشراف المستشرق الفرنسي الأستاذ هنري بريس Henri Pérès والتي أريد بها نشر بعض عيون المؤلفات العربية ، ومع كل منها ترجمة إلى الفرنسية ومقدمة

في سيرة المؤلف وآثاره العلمية فضلاً عن بعض الشروح والتعليقات.[1]

ومؤلف الكتاب هو عبد الرحمن بن عبد الحكم المؤرخ المصري المتوفى سنة ٢٥٧ هـ (٨٧٠ — ٨٧١ م) والذي كان مرجعاً ثميناً لكثير من أعلام المؤرخين المصريين ولا سيما الكندي والسيوطي.

عني ابن عبد الحكم بالفتوح الاسلامية فكتب فيها مؤلفاً كبيراً سماه « ذكر فتوح مصر » وقد وقف على نشره الأستاذ تورى Cb. Torrey سنة ١٩٣٢.

وختم المؤلف هذا الكتاب بالكلام على فتح إفريقية والأندلس بوصفها امتداداً لتاريخ مصر، ولا عجب فابن عبد الحكم مؤرخ مصري قبل كل شيء. ومع أن كلامه على تلك الفتوح لم يكن بالمسهب عني به المستشرقون الفرنسيون المشتغلون بتاريخ إفريقية حتى أعادوا نشره في الكتاب الذي نحن بصدده اليوم.

وكتب الأستاذ جاتو Gateau تصديراً لهذه الطبعة تحدث فيه عن قروض حوادث الفتح العربي في إفريقية والأندلس وعن سيرة ابن عبد الحكم وعن كتابه ومراجعة المؤرخين الذين نقلوا عنه وتأثروا به، كما عرض لسائر المصادر المعروفة في دراسة الفتح الاسلامي في إفريقية. ونحن نرى أنه اعتمد في ما كتبه بشأن سيرة ابن عبدالحكم وآثاره على ما جاء في المقدمة التي عملها المستشرق الانجليزي جيست Guest لكتاب « الولاة والقضاة » للكندي. ويلي ذلك التصدير نصوص ابن عبد الحكم في ذكر فتح برقة، وذكر أطرابلس ثم اسكندرية عمرو بن العاص عمر بن الخطاب في غزو إفريقية ثم ذكر فتح إفريقية ومن كان يخرج على غزو المغرب بعد عمرو بن العاص وفتوحه ثم ذكر فتح الاندلس. وإزاء كل صحيفة من النص العربي ترجمتها بالفرنسية.

وختم الناشر الكتاب بطائفة من الشروح والتعليقات أشار فيها إلى بعض المراجع، ووازن بين نصوص ابن عبد الحكم ونصوص جاءت في مراجع أخرى وعرّف فيها ببعض من جاء ذكرهم في النص العربي، وألحق بغير ذلك من البيانات التي تعين على فهم الكتاب؛ وعمل الفهارس التي تيسر الانتفاع به. والحق ان الترجمة الفرنسية دقيقة وحسنة، وإنّ جهد الناشر هنا جليّ وجدير بالثناء.

زكي محمد حسن

• • •

(١) ظهر في السلسلة جزءان، هذا المفتود ورق ثم « نصل المقال » لابن رشد وهو في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال (سنة ١٩٤٢). وحسبنا اليوم هذا التنويه.

• تاريخ جوح • بقلم فؤاد الشايب

١٢×١٨ ١٨٢ ص دار المكشوف بيروت ١٩٤٤

تدل هذه المجموعة من الأقاصيص على أن فن الحكاية في الشام ـ والمؤلف منها ـ آخذ في الاستواء . ففي هذه الأقاصيص معرفة بأصول المدخل والمخرج والتفصيل والتحليل، وإن كان الذهاب في التفكير والتوجيه غير حافل بعمد ولا ظاهر . وأما العبارة فتدفقة على تلوّن ، وإن كانت على اكتظاظ في التركيب .

*

• جبران خليل جبران • بقلم ميخائيل نعيمة

١٨×٢٥ ٣٠٤ ص مكتبة صادر بيروت ١٩٤٤

من الفائدة أن نخبر القراء بأن هذا الكتاب أُعيد طبعه في بيروت ، فقد نفدت نسخ الطبعة الأولى أو عزّت . وليس في هذه الطبعة مزيد، ولم يلتفت المؤلف إلى ما أثارته الأقلام يوم خروج الطبعة الأولى ، فلم يعلّق ولم يناظر ، وهذا يدل على شدة اطمئنانه إلى ما كتب أولاً . ومن دأب الأستاذ نعيمة أن يكتب وحليفه الاخلاص . وقد نقدت المقتطف هذا الكتاب حين ظهر ، فهل نزيد أنه من خير النماذج في السِّيَر ؟

*

• رسالة الصاهل • للمعري شرح وتعليق كامل كيلاني

١٣½ × ١٩½ ٢٩٦ ص دار الكتب الاهلية القاهرة ١٩٤٤

في هذه الرسالة يبين المعري كيف ينتقل الطبع الانساني من الكذب إلى الصدق . وينحو في التبيين منحى التمثيل ، شأنه في كثير من رسائله ومن صفحات في « الفصول والغايات » . والرسالة جدّ صغيرة ، إلاّ أن الناشر صنع لها مقدمات وتراجم وحلاها بحواش وتعليقات بحيث أخرج سفراً لم يكن لأحد أن يظنه خارجاً في هذا الحجم . وفي هذه الاضافات لفتات وتنبيهات (هوامش نص الرسالة ص ٢٢١ — ٢٦٤) . ولاهلك أن القارئ يجد في قراءة ما انتهى إلينا من آثار أبي العلاء ، ولا شك أنه رغب في تقريبها إلى الأذهان.

غير انه مال إلى التطويل (الترديد ؟) فقدم للرسالة في ثلاثة فصول : التمهيد والشرح والترجمة، علاوة على الحواشي) ورضي بفضول الكلام . من ذلك ترجمته لفاتحة الرسالة بهذه الكلمات : «يستهل أبو العلاء رسالته بالمناء ، هناء يقرن به نور وضياء ، وحسن وبهاء ، ورفعة وسناء ، وسمو واعتلاء . لابل يستهلها بآيات من التهاني، يُرقم بها أنف المبعض الشاني » . ثم دونك نص فاتحة الرسالة : «هناء يقرن به نور وسناء . بل تهانيء يُرقم لمن الشانيء » وفي الهامش يعود الشارح فيقول : « المناء : بهجة وفرح — نور وسناء : رفعة وعلو» .

والرأي أن هذا غلو في التقريب ، حتى الأحداث ليست بهم حاجة إلى مثل هذا . والذي عطف بنا إلى تصور الأحداث أن الشارح يجتهد في شكل الكلمات كلها ، حتى الحروف مثل الواو وفي وإلى . وإذا هو قصد إلى إرشاد الأحداث إلى أبي العلاء — وهذا مقصد حسن حقا — فيا ليته لم يؤثر التزام السجع في كثير من نثره ، فهذا أسلوب قد ولّى زمنه .

والرسالة على كل حال غنيمة ، والتحقيق حسن ، وفي الشرح فوائد .

*

• الشوامخ • الجزء الثاني بقلم محمد صبري

٢٤ × ١٦½ سم ١٥٢ ص دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٤٤

يحلو للأستاذ محمد صبري الدكتور في الآداب من السربون أن يعنى بالنقد الأدبي . وله فيه اجتهاد ، ذلك أنه ينظر في « الشعر الجاهلي » وهو موضوع هذا الجزء وكذلك في النثر الجاهلي بعين تدربت على قراءة الروائع في الآداب الأوربية وتصفح آيات الفن من تحت وتصوير . ومن هنا موازناته ولفتاته . ومن هنا أيضاً تركه المأثور من أقوال النقاد السابقين إذ تلتقي لديهم ملكات الشعراء في عبارات متعادلة أو متجاورة . فهو يبحث عن الخصائص والميزات ليفرز عهداً من عهد وطبقة من طبقة . وفي ذلك فضل وجدّ .

غير أنه يسرف أحياناً ، في ما يبدو لنا . من ذلك قوله إن وصف أبي ذؤيب الهذلي لصراع الفارسين في قصيدته العينية « خير ما جادت به قريحة الشعراء على الاطلاق » (يعني من العرب والافرنج ؛ ص ١٤٦) ، ومهما يكن من إسراف فان المؤلف أحسن في تبصيرنا روعة هذا الوصف وما وراءه من قوة ، وحركة ، وصورة قد شبهها بلوح من رقم المصور الاسباني ثيلاسكيوز . ومن الاسراف أيضاً عقد موازنة بين قول سيد الراجز وهو يصف فؤاده فيقول :

كأن قلبي والفراق محضور وقد جرى طائر بين مزجور
غصن من الطرفاء راح تطور

وبيتين للشاعر الفرنسي ڤرلين ، هما :

Il pleure (non : pleut) dans mon cœur comme il pleut sur la ville

وقد ترجمها المؤلف هكذا : « وكأني بالمطر يسقط في فؤادي كما يسقط على المدينة» (ص١١١) . والترجمة عندنا هي : « إن في القلب بكاء (لا مطراً ، كما روى المؤلف وترجم) كالمطر الساقط على المدينة » .

*

• الدرر التاريخية في الأسرة اليازجية • تأليف عيسى اسكندر المعلوف

١٢ × ١٨½ سم ١٣٨ ص مطبعة الرهبانية المخلصية بيدا (لبنان) ١٩٤٤

المؤلف عناية خاصة بتاريخ الأسر اللبنانية والشامية ، وله في هذا سفر ضخم لم ينشر بعد، أعانه على تصنيفه ذاكرة قوية وخزانة كتب زاخرة . ومن طرائف ذلك السفر الجليل الجزء الاول من هذه الرسالة وهي موقوفة على سِيَر لمشايخ اليازجيين في أسلوب مختصر ، همه الرواية والنقل .

واليازجيون مشهورون في جميع الأقطار العربية ، كلهم الشيخ ناصيف وبراهيم الشيخ إبراهيم . وفي هذا الجزء سرد لأخبارهم الاجتماعية والأدبية ، وفيه فوائد وطرائف، وفيه على وجه التخصيص شعر ونثر مطويان وإشارات إلى مخطوطات ومفقودات نفيسة، من ذلك كتاب « الفرائد الحسان من قلائد اللسان » وهو معجم كان الشيخ ابراهيم شرع في وضعه ولم ينجزه، وقد كان سلك فيه المأنوس من كلام قدماء العرب بأسلوب علمي وتطرق فيه إلى موضوعات المولدين والمحدثين .

ومثل هذه الرسالة يُعدّ التأليف في تاريخ الأدب الحديث لما تضم من الأخبار المجهولة والآثار ، فهي من باب التنقيب لا من باب النقد .

*

• قصة البنيسلين • تأليف مصطفى عبد العزيز

١١½ × ١٦½ . ١٥٦ ص مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر « اقرأ » ١٩٤٤

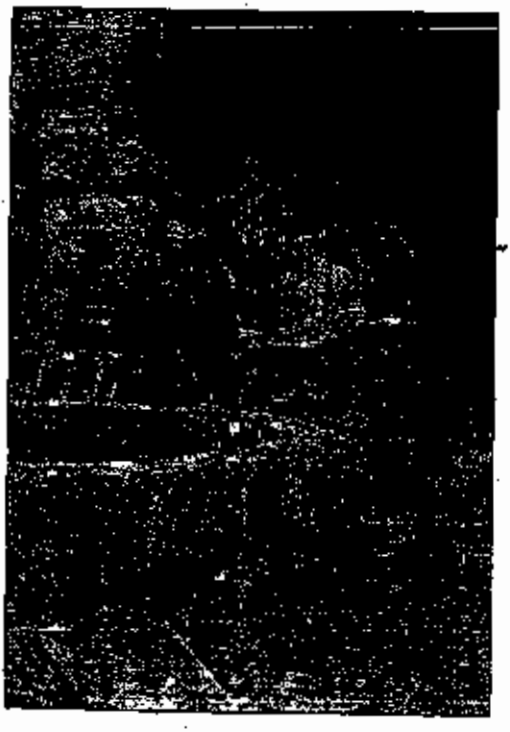

نماذج لمدوات قديمة من الخشب المصنوع في الشام (المئة الـ١٥ والـ١٦) مجرّفة ومزخرفة

أنموذج مستحدث من القاعد ، خشبها مخروط ومحفور

في مصنع المعلم محمد علي الخياط الشهير بأبي سليمان

٢ – المجلات

« الأديب » العدد الخاص بأبي العلاء جزءان (يونيو) ١٩٤٤

يقرأ الباحث في كثير من الكتب التي تطرق موضوعاً خاصاً ، فلا يجد فيها تلك اللذة ولا تلك الأصداء المتجاوبة التي تتردد في ثنايا مجلة تنتظم موضوعاً واحداً . ولعل ذلك لتعدد الأقلام التي تتناول بأفكارها وقراءاتها المتباينة ذلك الموضوع وتنظر إليه من زوايا متعددة . وقد جمعت مجلة « الأديب » البيروتية أبحاثاً طريفة حقاً ، منها : « أبو العلاء المعلم » و « سر أبي العلاء » و « القرامطة وأثرهم في أدب المعري » و « أبو العلاء المفكر الحر » و « لغة المعري » و « رسالة الغفران وسابقها » و « فصل من كتاب الأيك والغصون »

وكان الدكتور إسحاق الحسيني موفقاً في إظهار الرسالة التي اضطلع بها أبو العلاء المعلم والنشاط الذي كان يشيعه فيمن حوله من الطلاب والمريدين . وأما « سر أبي العلاء » فهو فرض ساقه الأستاذ الحوفي ، يذهب إلى أن أبا العلاء إنما منعه من الزواج مانع العجز الطبيعي ، وأن السر إنما يرد «إلى سبب مادي طبيعي لا زهد ولا فلسفة » . ولكن كيف نتصور تلك العبقرية المتدافعة المتزاحمة ، في تلك الرجولة الناقصة ؟ إن العبقريات الممتازة لم تكن يوماً في ضعاف الرجال . بل إني لأذهب إلى أن أبا العلاء كان من قوة طبيعة الرجل بالمكان الذي يحمله على التغالي على المطعم والمشرب ، ليكفّ عوارم هذا الليل ، ويصير إلى حال من العفة وضبط النفس . وليس فيما ذكره الأستاذ من شواهد اللزوم ما ينهض حجة صالحة لدعواه الطريفة .

وقال الدكتور أسعد طلس في مقاله القيم «القرامطة» : «وأنا مؤمن أننا حين نعثر على كتاب المجالس المؤيدية في الدين أبي النصر (هو أبو نصر) بن أبي عمران داعي الدعاة . . . » وكتاب المجالس المؤيدية لم يفقد ، فثمة نسخة بالهند أخذت منها صورة مودعة بخزانة جامعة فؤاد الأول . وقد انتسخت لجنة أبي العلاء بالقاهرة نصاً منه في كتابها « تعريف القدماء بأبي العلاء » (القاهرة ١٩٤٤ ص ٣٨٧) .

إنا لننهى « الأديب » بجهودها البارع ، وندعو أدباء مصر أن يتقدموا من صفحاتها بمجلات الأمم الشقيقة ، ليتحقق بذلك ما نأمل من توطيد العلاقة بين الأمم العربية وتدعيم التقارب .

عبد العزيز محمد الدارودي

٣ – المسرح

لم أنشئ هذا الباب لنتحدث فيه كرة أخرى عن المسرح إذ جدل من قاعده إلى مراجعها يخرج في العين أداء ». والمسرح من أسباب التقدم الحق ، ومن شواغل نفس القائم . فليس أن مسرحية واحدة لم تستحق المراجعة (١) . وكانت الفرقة المصرية (١) وهي حكومية ، أجدر عند عليه الامل . غير أنها آثرت خطة أرادت بها أن ترضي طبقات شتى تتعسن إقبالا كبيراً على ليلاتها ، وفي ما أدته ما يقصها من مرتبة فرقة رحبة وما يحرف للغاية التي أنشئت من أجلها أولا . وقد أذعت من رادير الشرق ببيروت في خاتمة شهر أكتوبر لهذه السنة رأيي في هذه الفرقة ، فنبهت الأذهان إلى فساد خطتها على أيدي المخرجين والمؤلفين وبعض النقدة . واليوم أحد إلى ثورة الاستاذ زكي طليمات نفسه ، فقد راعته جلالة الفن الخالص ، والاداء الأمين طالع من يديه .

صفق الجمهور فصفق النقاد

قدمت الفرقة المصرية في الشهر الماضي مسرحية عنوانها « شارع البهلوان رقم ٧٧٧ » في مسرح دار الأوبرة الملكية بنجاح لم يألفه مسرحنا منذ عهد بعيد ، فقد تجاوز دخل هذه المسرحية في الأسبوعين الأولين خمسمئة والفين من الجنيهات . الجمهور مقبل على مشاهدتها بحال يذكرنا رواد المسرح في باريس ولندن وبرلين ، فالصف من الجمهور المصري في مسرحيتنا هذه ينتظم تجاه شباك التذاكر ويطول حتى مشارف الطريق متعوياً كالافعوان ، وصارف التذاكر يعلن عن نفادها قبل ميعاد رفع الستار بساعات ، وقد أتخذ صوته غير السيد الآمر غير الآبه بشيء ، وإدارة الفرقة تزيد في عدد حفلات إضافية ، ولجنة ترقية التمثيل العربي ، وهي اللجنة المشرفة على الفرقة ، بتبادل أعضاؤها أعجاب الابتهاج والتفاؤل في صحة الفرقة ونجاحها ، والذين يشتركون في تمثيل الرواية كلهم في طرب ، والذين لم يشتركوا في كدهم إذا يعز عليهم أن تحفل الفرقة بنجاح لا يكونون من بواعثه وعوامله . . . ولا يخفى أن لجد المهنة منطقاً لا يعرفه المنطق السليم ، ولا سيما أن الممثلين المصريين يحيون بغرائزهم أكثر مما يعيشون بأذهانهم ، ويعملون بوحي الفردية فوق ما يعملون بروح التآلف

(١) سوى مسرحية « يوليوس قيصر » لشكسبير ، أخرجها زكي طليمات هذا الخريف ، فما استطعت الكتابة فيها لتخلي عن مصر في ذلك الفصل .

وعلى الجملة، إن جنبات المسرح المصري ممثلة في هذه الفرقة المصرية تدوي بانفعالات كان طبيعيا أن تمتد إليّ وأنا مخرج الرواية ومقوّم غير المعقول والمقبول فيها...

وأصارح القارئ بأن ما بنفسي من جراء هذا كله إنما هو أخلاط من العجب العاجب، والأسف المرير، والتشفي السادر، وسرطان ما تتلاون هذه الانفعالات عن غيظ حانق كلما أراد نفر تهنئتي بإخراج هذه التحفة الفنية، كما هي في زعم المهنئين (!)

وأخالط نفسي من حيث إن إجماع الناس على إعجاب لا يجوز أن يكون على شيء باطل أو زعيم تافه. . فأعود الى المراجعة والتأمل ثم الى سؤال نفسي: هل أتى التأليف المسرحي في مصر بهذه المسرحية وأشباهه المنتظرة؟ وهل أتيت حقًّا في إخراجها من الجديد الموفق والطريف الممتاز ما أستأهل من أجله التهنئة والثناء؟

وهل أسمع جمهورنا، في طرفة عين، من رواد المسارح الأصناء حتى يقبل على دور التمثيل بمثل هذا الروح؟ ثم أين هو هذا الروح في «شارع البهلوان، ٧٧٧»؟

ولكن سرطان ما أفيق بعد أن يشرع الضمير الأدبي ميزانه وتتبرى مقاييس الفن ومعاييره تراجع وتحاسب، وهأنذا أقرر يقين النفس فأقول: لا شيء من هذا ألبتة... «وهذه عقدة المسألة» كما يقول (كمليت).

إن مسرحية «شارع البهلوان رقم ٧٧٧» من الأدب الهابط الذي يعوزه الدسم والخصب وهي من سقط متاع الفن باعتبار أنها «ڤودفيل Vaudeville»، أي من اللون الفكاهي المزيل من حيث تحليل شخوص مسرحياته وتقويمهم التقويم الانساني الصحيح، والمنحرف عن شرعة (الكوميدية) الخلقية من حيث عوامل التشويق فيها، وأما دوافع الضحك فتقوم على المفاجآت المفتعلة، والنكات المتكلفة والعبارات المتسلة التي تلذع ولا تخلف ما يلوكه الذهن أو يردده الخاطر لينتفذي به.

وإخراجي الرواية ليس فيه جديد ولا طريف، فقد أخذت فيه بالدرجة الواقعية المألوفة، وفتك أن الرواية خلت من عوامل الإيحاء والتركيز وجرت سياقة مشاهدها على نمط رتيب لا يشحذ خيال المخرج فيبعثه على التوليد والخروج على الطرق التقليدي.

بل لقد تورطت — مكرهاً — في خطإ فني، فقد جاءت مناظر الرواية، على بساطتها، لا تعرض الصيغة المحلية للرواية، بل لا ترعي لصيغتها النفسية، فقد كانت كلها مناظر حُجُرات «دُوَلية» مما يشاهد في بيوت أوربة. وليس فيها ما يشير إشارة واضحة إلى طابعها المصري. والأثاث كذلك نمطه أوربي قديم، (طراز لويس السادس عشر

ولويس الخامس عشر) ، وليس بينه وبين رسم المناظر علاقة من حيث الطراز ، فقد نسيت أن أقول إن مناظر الرواية مرسومة وفقاً لشرعة الفن الحديث . هذا والذوق السليم والحس السائب — وبهما يجب أن يأخذ المخرج في عمله — لا يستطيعان حجرة تخضع في تصميمها وتلوينها إلى أحدث فن ، وأثاثاً يرجع إلى عهد طابعه من مئات سنين . أكرهت على التورط في هذا الخطأ عامداً ... والحمد لله على كل حال .

والممثلون والممثلات ، وإن أدوا أدوارهم في حذق ومهارة ، فإنهم لم يأتوا بالطريف الذي يشد اليهم الجمهور هذا الشد العجيب ويبعثه على الإغراق في الضحك حتى يصرخ منه الوقار . وإني أتجاوز عن نقد الممثلين والممثلات بالمقياس الذي اعتمدته في نقدي للمسرحية لأنهم نهضوا بما حملوه أحسن مما نهضت بحملي ... وأيضاً لأن أجسامهم هشة رقيقة .

إذن لم كل هذه الانفعالات من ابتهاج وحمد ؟ ومن أين يأتي هذا الاقبال الكبير على المشاهدة ؟ وكيف نحم هذا الاجماع على الاشادة بفتنة المسرحية وروعة مواقفها ؟

الجواب يسير ومرير . . إن المسرحية صادفت هوًى من الجمهور ... إذ أجابت رغبته في التفكهة وأشبعت نزعته إلى التسلية الخفيفة الباسمة في هذه الآونة التي اسودَّ فيها كل شيء حتى الرغيف بفعل الحرب ، وإذ تملقت بعض خصائص الطبع المصري في ناحية من نواحيه السهلة اللينة . إذن : صفق الجمهور فصفق النقاد . وأقبل الجمهور على المشاهدة فأقبل النقاد على الكتابة مهللين مستبشرين ، واطرد امتلاء قاعة دار الأوبرة بالنظارة فطربت الفرقة وزُهيت إدارتها . . ولو لم يقبل الجمهور هذا الاقبال لانبرى النقد يزعم أن الرواية لم تنجح ، وأن المخرج لم يوفق ، وأن الممثلين لم يحسنوا تلبس أدوارهم . ولو لم يقبل الجمهور لاغتمت إدارة الفرقة ، وعلى الجملة لو لم يقبل الجمهور لما ذاع صيت الرواية . ولا يهم أن تكون الرواية سقيمة المبنى هزيلة المعنى ، خالية خاوية مما يثقف ويهذب ويصلح ويشق الأفق الفسيح للتفكير المتحرر ليس فيها من شيء تهدي له الأذن ، ويشد إليه النظر سوى فرقعة الصواريخ : وهي أصوات وأضواء سرعان ما تخمت وتخبو وتنسحي من عالم الرؤية والسمع .

وإحقاق الحق يقتضي بأن نصرح بأن لا لوم على الجمهور إذا أقبل على مشاهدة المسرحية التي تجاوب زحامه في الساعة التي هو فيها ، وأن لا تثريب على إدارة الفرقة إذا جعلت تعتاض من رواياتها السواد الأعظم من الجمهور حتى تكفل الإقبال على حفلاتها ، وبهذا يتيسر لها أمر تقديم المسرحيات الرفيعة حيناً وحيناً ، وهي مسرحيات لا ترضي إلا الخاصة ، وهم — ويا للأسف — قليل .

لكل هذا جانب من الصواب ، ولكن أين يقف النقد والنقاد من سرحية موقف عامة الجمهور بتلبسهم بزعات الذهاب في الحكم على الرواية وتأديتها ، وتكون مقاييسهم في الحكم من مقاييسه التي يجنوها الحس المرهف والذوق المصفى ، ولعمرها المعرفة بفن كتابة المسرحية ومعرفة الاخراج ، وينقصها الاستقصاء الفني السليم ، فهذا أمره خطره ، وظاهرة عجيبة جديرة بالانتباه .

إن النقد — ذاتيًا كان أو موضوعيًا — يجب أن تكون أحكامه أسمى من أحكام الجمهور وأقوم منهجاً وأوفر نصيباً من الدقة والإحكام ، وأن يكون للتبصير والتنبيه ، وأن يكون حركة إيجابية عنيفة نحو الإصلاح والتوجيه إلى ما هو جميل حقًا وإلى ما يجب أن يكون ولا يبالي في سبيل هذا بالخروج على بدوات الذوق السائد ، وقد يكون مستلزماً تقبيحاً ، ولا بأبه بالأوضاع القائمة ما دامت في حاجة إلى التبديل والتحرير .

يقولون « لا شيء ينجح مثل النجاح » وهي قولة لها ما لها وعليها ما عليها ، ولكن الذي لا شك فيه أن النقد إذا جرى في إثر هذه القولة ولم يراجع ويتحصن انعدم غرضه وامّحى أثره بل إنه يضع موقفاً مزرياً بالدعاية لكل براق خلاب .

• • •

ذلك وجه من وجوه النقد المسرحي الذي طالعني ، ويا للأسف ، عقب إخراجي مسرحية « البهلوان ... » . ولا أتحدث عن وجوهه الأخرى التي تنجم الفينة بعد الفينة ، نجوم قرن الماعز ، فتكون — إلا أقلها — للتشهير والمناصرة من غير حق ، أو هي للتجذيل والمناجزة من غير أصل ، وقد اتسمت في الحالتين بالجهل المزدوج ، جهل الناقد بعارفه ما ينقد وأصوله ، وجهله بأنه يجهل الأرض التي سخر قلمه العابث الضليل للخوض فيها .

أما بعد ، فهذه تأملات أردت تسجيلها سهيًا بحملة الأقلام النزيهة العالمة أن يعالجوا نقد المسرح في أسلوب جدي رصين يشع فيه الصدق والإخلاص والمعرفة ، فمسرحنا في حاجة الى الحماية والتوجيه والوعد والوعيد والهدم والبناء .

ويؤسفني من صدمة بكل هذا المسرح أحمل على أكتافي وفر السنين وتجاربها ، وأنوء بأثقال من النقد ، مدحاً وذمًا ، وثناء وشتماً ، أقول لهذا الناقد الحق فارتجى ظهوره : « افتحني واصدق أيها الشاتم » .

زكي طليمات

المدير الفني لفرقة المسرح
ومدير معهد فن التمثيل العربي

٤ – الاستدراك

الامتاع والمؤانسة ، الجزء الثالث للتوحيدي

مصححه وضابطه وحققه وشرح غريبه ورتب فهارسه : أحمد أمين وأحمد الزين

١٧ × ٢٤ سم ، ٢٣٠ ص سوى الفهارس القاهرة ١٩٤٤

– ٢ –*

ص ١١١ س ٢٠ « فقد يظن أنّ النفس متى لم تكن . . . أنها لا تكون أبداً . . . » بفتح همزة « أن » الثانية ، والصواب كسرها فتكون « إنها » لأنّ الخبر جملة لا مفرد مؤوّل ولا يجوز جعل خبر « أنّ » المفتوحة مصدراً مؤوّلاً من « أن » المفتوحة نفسها وما بعدها كما ورد في الكتاب .

ص ١١٦ س ١٠ « حاولنا منذ علمنا أن تكون » وفي الحاشية أن الأصل «علمانها» وأنه تحريف . قلنا بصورة الكلمة تدل على أن أصلها الحرف «علمنا بها» فما الداعي إلى الإغراب ؟

ص ١١٩ س ٩ « مداجاةً في العلم وخيانة للحكمة وجناية على المتنصح » بنصب المصادر الثلاثة . ولا أرى وجهاً له ، وإنما المداجاة خبر لمبتدأ متقدم هو « إدخال » ، فتكون الجملة « وإدخال العربي . . مداجاة » ؛ وطبعه في الرفع خيانة وجناية .

ص ١٢٦ س ٢–٣ « ليس في بضائع أصحابنا الذين حولي من يُدرك هذه المعاني . . . فكيف من يفرّج في شرحها وتهذيبها إليه » وقال الناشران في الحاشية : « الظاهر أن (من) زائدة » . وليس هذا عندي بالظاهر لأنّ حذف « مَن » يخلّ بالعبارة ويغير المعنى المُراد . فإنّ القائل في وجود المدرك للمعاني وفي عليه نفي وجود الشارح وإنْ كان التعبير استفهامياً ، ضمّنه قال : « ليس فيهم من يدركها فضلاً عمن يشرحها ويهذبها » ، وحذفُ «من» يجعل العبارة غَلَطاً .

ص ١٣٤ س ١٤ « والقواعد تسيخُ » بالخاء المعجمة . والصواب « تسيخ » بإلغاء المعجمة أي تغور وتغوص في الأرض ، ومثله « تسوخ وتشوخ »

ص ١٤٨ س ١٣ « وليس للإنسان عنها مرتحل » . قلت المشهور في كلام العرب « مَزْحَل » كقول الشاعر « وإن لم يكن عن شفرة السيف مَزْحَل » وهو اسم مكان من « زَحَل »

* راجع مقتطف مايو الماضي باب التعريف والتنقيب

أي تنحى وابتعد .

ص ١٤٩ س ٣ « فقبل أن لَتيتُ اللك أفصح له الذي كان مني مشرفاً عليّ » وفي الحاشية أنّ في الأصل ما صورته : « ما أفصح » بالنفي وأنّ « ما » زيادة من الناسخ . وهذا غير صحيح لأن المعنى يكون به معكوساً ويدلّ على أنّ الشرف لم يفصح لعقد الدولة أنه كان مشرفاً منشوفاً إلى سماع الجواب ويقول : « هات الجواب عمّا نَفَذت فيه ... أنت حُمّلتَ الرسالة وأطالب غيرك بالجواب » ؟ !

ووردت « نَفَّذت » المذكورة في النقدة السابقة على وزن « خَرَّجْتَ » . وهذا غلط في الضبط ، والصواب تشديد الفاء وبناؤه للمجهول ، أو « أنفذت » فانهم كانوا يقولون « نفذته وأنفذته في رسالة تنفيذاً وانفاذاً » أي أرسلته وبعثته ، أمّا « نفذ فلان القوم » أي تجاوزهم » فلا يصحّ هنا — كما هو واضح — لأنّ الرسول أرسله غيرهُ ولم ينفذ هو بنفسه .

ص ١٦٧ س ١ « روى عمر بن صيرة ... إلى حُرام بن شنير بخاتم له فضة — وقد زوج — فعقد عليه حرام سيراً » . فابت شعري من كان قد زوّج وما سرّ التحريض الوارد في الخبر ؟ إنّ هذا تحريف غريب والأصل « فيروزج » و« فصهُ » محرّف إلى « قد زوج » و« فضة » والصواب « روى ... بخاتم له فصّهُ فيروزج فعقد ... » اتخذ الفيروزج معراضاً للزوقة للكروحة عند العرب .

ص ١٧٦ س ٨ « الذي أتى به ابن صيرة الفزاري فأمر بصلبه » بنصب « ابن » . والصواب رفعه لأنه نائب فاعل .

ص ١٧٨ س ٦ « فلم يَحر إليه جواباً » بفتح ياء « يحر » . والصواب ضمّها ، يقال : « ما أسار ولم يُحر جواباً »

ص ١٧٩ س ٧ « فيكفي مؤونتي » . وهو غلط صوابه : « فيكفى مبنيًا للمجهول ثلاثيًا » وقد وردت في الصفحة بعينها « س ١١ » : فيكفى مؤونتهم . والأول لا يعضده القياس ولا يؤيده السماع ، لأن الاكتفاء اعتمال بالنفس و « يكفى » عمل لغير الانسان للكفيّ وهو المراد لدلالته على المعونة .

ص ١٧٨ س ١٦ قول حسّان بن ثابت :

أنأس تهلك الأحساب فيهم ... يرون النيس يعدلهُ الطبيب

ولا أرى نسبة بين النيس والطبيب وهلاك الأحساب ، ولو جاز الاستغراب لقيل على الأقل « الجنيب » وهو الفرس المجنوب . وأرى أن الأصل : « يعدلهُ الحسيب » أي يسوّون بين النيس والرجل الحسيب ، وهو إيضاح لقوله : « تهلك الأحساب فيهم » .

ص ١٨١ س ٨ « وينصامم عن العوراء » بفك الادغام في « ينصامّ » وهو غلط والصواب « يتصامّ » بالادغام لوجوبه ولم يشذّ من القاعدة إلاّ قولهم « تحاتّ » في التحاتّ دون التثر.

ص ١٨٤ س ١٢ « ومر جرير بالأخوص وهو يفسق بامرأة وينشد » . ومن المستبعد أن يجري بصورته في أسواق الأمم أخلاقاً فكيف العرب في عصر الاسلام (وفي « مرّ » إشارة إلى أن الحادث جرى في الطريق)؟ والصواب : « وهو يشبب بامرأة » ومصدره التشبيب ، ويوضحه قوله « وينشد » .

ص ١٨٦ س ١ « إنّ هذا الباب مختلف فيه ولا سبيل إلى رفعه » . والصحيح « إلى دفعه » أي دفع الاختلاف ، وقد تقدم في الكتاب (ج ١ ص ٧٣) : « مما لا سبيل إلى دفعه » .

ص ١٩٠ س ١٤ « هذا ينبغي أن تعلمه بقلبك ولا تدع الله به » . والصواب « ولا تدعوّ » بالنصب لا بالجزم ، معطوفاً على المنصوب « تعلمه » . ولا يجوز عطف فعل طلبي بالأمر والنهي بحرف العطف (الواو) على فعل خبري مثل « تعلمه » فلا يقال « خذ تأخذه ولا تبعه » أو « تأخذه وبعه » .

ص ١٩٧ س ٢ « الجنة إذاً أولى من الحمام إذ قيل بئس البيت الحمام » . والظاهر أن الأصل « أولى (بالذم) من الحمام » لأن وجه الأولوية غير مذكور في العبارة .

ص ٢٠٠ س ١٤ « وحدثني أن امرأة تظلمت » . ولا مرجع لفاعل « حدثني » في الإخبار ، ولعل الأصل « حُدِّثتُ » مبنيًا للمجهول .

ص ٢٠٢ س ٦ « وتقلم الحاضر بالتعارف والمشاهدة وعجال الحس » أي النفس . وفي الحاشية أن التعارف وردت بهذه الصورة ولا معنى لها . قلت : وكيف لا يكون له معنى وهو مبالغة من المعرفة والتعرف كالتباعد والتقارب والتعالم والتسامي والتعالي في المبالغة من البعد والقرب والسمو والعلو والعلم ، ثم إن المشاهدة والاحساس يجعلان تعارفاً بين الشيء الحاضر والنفس ، فهو على الوجهين صحيح .

ص ٢٠٦ س ٥ « وليس لهم (عليها) معبر للخوف منهم » . ولا داعي إلى إقحام « عليها » في الكلام ، إذ لم يكن بد من الايضاح الواجب إقحام « بها » لأنه يقال « عبّره كذا تعبيراً وعبّره به » على لغة يدعي اللغويون أنها ضعيفة وإن كان هذا الادعاء مخالفاً لطبيعة الكلام لأنّ الحذف والايصال تخفيف للعبارة ، والتعدي الطبيعي في الفعل لا يكون إلاّ إلى مفعول واحد .

ص ٢٠٨ س ٤ « وطرف عازم » وفي الحاشية أن لفظ « عازم » وردت بهذه الهيئة ولعلها تحريف إذ لم يظهر للناشر معنى وصف الطرف بالعزم . قلت : الصواب « طرف ظلوم »

بالراء من العرامة وهي الشدة ومنه قول ابن أبي ربيعة : « ولي نظر لولا التحرّج عارم »
ص ٢٠٩ س ٢ « يتلق ما أعيا من ذلك بالي » وفي الحاشية أن الأصل « بالكي » وأنه تحريف لا معنى له . قلت : لا بل هو الصواب ، وهو مأخوذ من قولهم في المثل « آخر الدواء الكي »
ص ٢١٣ س ١٣ « كما يطرب سامع الغناء على الشابير » وفي الحاشية أن الأصل هو « الستائر » لا الشابير وأنه تحريف استوجب هذا التصحيح . وهذا القول غير سديد لأنّ كلة « الستائر » اصطلاح على الغناء في تلك العصور التي قيلت فيها الكلمة وقبلها ، ووُصف ناس بأنهم من أصحاب الستائر أي ذوي جواد يغنين خلف الستائر .
ص ٢١٤ س ١٣ « بين حيطة وورطة » بفتح الحاء من حيطة . والصواب « كسرها » لأنها في الأصل مصدر هيئة ثم صارت اسم مصدر كما هو مألوف في لغة العرب ولو كانت الحاء مفتوحة لقيل « حوطة » أو « حاطة » كالعودة والعادة والقولة والقالة ، فالعين واو .
ص ٢١٨ س ١٠ « فإذا نقب لخفٌ دعي الأفلّ » . فليت شعري ما الأفل ؟ إنه اسم تفضيل من « فلّ » أي بقي ومكث ولا محلّ له هنا . والصواب « الأطلّ » على وزن شير وهو لحم باطن الخف فإذا نقب الخف دعي ذلك اللحم .
ص ٢٢٠ س ٦ « لما يدخل هذا الوارد ويدنون طرف البساط تنثر رأسه » . و « لما » لا تدخل على المضارع من الأفعال وهي ظرف للزمن الماضي فكان الفعل الماضي بزمنه وصورته أحق بها من غيره ، ومن المستبعد أن يستعملها أبو حيان بخلاف ما ورد في لغة العرب ، وقد وردت على هذه الصورة الفصيحة في شعر شهاب الدين الخيمي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ قال :

لكن ينازع شوقي ثارةً أدبي فأطلب الوصل لما يضعف الأدب [1]

فلعلّ الأصل : « طالما يدخل » أو « حينما » أو « عند ما » على لغة ضعيفة أوجه من وضع « لما » كذلك .
ص ٢٢١ س ١٤ « ومن الجالس فوق مشرعة مكان الروايا » . والذي جلناه من خطط بغداد أنها « مشرعة الروايا » لا « مشرعة مكان الروايا » [2] ، والظاهر لنا أنّ في الأصل « كان » مقحمة فتزحلقت وصارت « مكان » أعني أنّ الأصل « من الجالس — كان — فوق مشرعة الروايا » .
ص ٢٢٦ س ١ « ولم أظلم معنى بالتعريف ولا ملت فيه إلى التحرير » ، وفي الحاشية أنّ

(١) ابن الفرات في تاريخه (ج ٨ ص ٤٢)
(٢) أصول التاريخ والأدب ، من محرراتنا الخطية (ج ١٩ ص ١٦١) وكامل المبرد (ج ٩ ص ٢٢٣) و (المنتظم ج ٨ ص ٢٣٢)

التحرير في النسخة التي ورد فيها وحدها هذا الكلام هو على صورة « التجرير » وأنه تحريف . قلت : وما التحرير إلا التبييض ولا محل لها ، فالصواب « التجرّز » أي الترخص في التعبير والتسامح فيه ومنه قول المؤلف في الجزء نفسه ص ١١٠ س ١٥ : « إلا أن تجوز إفادتها للقابل منها استفادةً لها وفي هذا تجوز ظاهر » ، ولو جاز أن يكون مصحفاً عن غير المجوز لكان « التحويف » مصدر « حوّف » أي مال إلى الخفة .

* * *

ومن الغلط في أعلام الناس :

ص٧ س ٨ « رأيت أبا خليفة الفضل بن الحباب » . والذي حفظناه أنه « الفضل » وقد راجعنا ما وصلت اليه يدنا من الكتب في الاسكندرية[1] فتأكد لنا أنه أبو خليفة الفضل بن الحباب ابن محمد بن شعيب بن صخر الجمحي القاضي السجاع وهو ابن أخت محمد بن سلام الجمحي مؤلف طبقات الشعراء ، كان من رواة الأخبار والآثار والأشعار والآداب والأنساب وتوفي بالبصرة سنة « ٣٠٥ » هـ[2] .

ص ١٣ س ٨ « قال أبو الحسن أخبرني الثوري عن أبي عبيدة » وفي الحاشية أن هذا « الثوري » ورد في نسخة ب بصورة « النوزي » وأن كليهما معروف . قلت : كونهما معروفين لا يكفي في تحقيق الاسم ، فان سفيان الثوري لم يرو عن أبي عبيدة وإنما روى عنه النوزي .

ص ٧٥ س ٩ « على النائدة أبو علي بن مقلة وأبو عبد الله اليزيدي . . وكان اليزيدي . . » ولم يشتهر يزيدي في ذلك العصر فضلاً عن أن يؤاكل ابن مقلة الوزير فالصواب « أبو عبدالله البريدي » وهو الأمير المشهور في تاريخ ذلك العصر وورد في ص ٢٢٢ « ابن البريدي » .

ص ٧٦ س ١ « وحدثني ابن صيمون الصوفي » . والمشهور « ابن سمعون الصوفي » وهو الذي ذكره الحريري في المقامات وهو محمد بن أحمد ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد وابن الجوزي في المنتظم (ج ٧ ص ٨٨ و ص ١٩٨) وابن خلكان في الوفيات وغيرهم .

ص ١٠٠ س ١٧ « لأبي الحسين السبتي » وفي الحاشية قال الشارحان « في ب اللبتي » . وهذا لا يكفي فانه لا يجوز أن يكون بالنسبتين معاً صحيحاً ، فالصواب « أبو الحسن اليسعي » لا أبو الحسين اللبتي ، واسمه أحمد بن علي ، وترجمته في معجم الأدباء (ج ١ ص ٢٣٣) من طبعة مرغليوث وغيره من كتب التراجم والأدب .

---

(١) بعث الينا الاستاذ معطي جواد الدكتور في الآداب من الربوتن والاستاذ بدار للمدين العالم في بغداد بعد الاستدراك وهو نزيل الاسكندرية ، في الصيف الماضي .

(٢) الصفدي في « نكت الهميان في نكت العميان » ص ٢٢٩

ص ١٥٣ س ٤٠٣ « ومحمد بن صالح بن هيبان » . والذي عندي أنه « ابن أم هيبان » وهو الذي سأل المتنبي عن سبب لقبه كما في الجزء الثامن من « نشوار المحاضرة » وكان من القضاة الهاشميين ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد (ج ٥ ص ٣٢٦) وذكره مسكويه في التجارب (ج ٥ ص ٤ من ٢٩) وابن الجوزي في المنتظم (ج ٧ ص ١٠٢) واشتهر ابنه علي بابن أم هيبان أيضاً كما في تاريخ الخطيب (ج ٢ ص ٩٩) .

ص ١٥٣ أيضاً س ٧ « وابن رُباط صيغ السكرخ » . رُباط جاء على وزن غُراب وفي ص ١٩٧ س ٣ « ابن ربّاط » على وزن شداد ، وفي هذا تناقض يجب دفعُهُ .

ص ١٩٦ س ٨ « قال ابن عثمان الآدمي » . الآدمي منسوب إلى آدم من الآدمين ، والمشهور « الأدمي » بلا مدّة وهي الجلود المدبوغة والنسبة لجرفة .

ص ٢١٥ س ٦ « هذا التركي ساسنكر ، تهيأ بظله » وفي الحاشية أنّ الشارحين لم يجدا هذا الاسم في معجمات الأعلام التركية التي راجعاها والذي وجداه سنجر . قلت : المراجعة لا تكفي في وجدان الاسم ومعرفته . لأن المسألة تاريخية لا لغوية حتى تكفي فيها سورة اللفظ ، فصاحب الاسم المحرّف « ساسنكر » هو « سبكتكين » الحاجب غلام معز الدولة ، وذكره مستفيض في كتب التاريخ كالكامل وتجارب الأمم وكتب الأدب مثل الفرج بعد الشدة للتنوخي وغيره .

ص ٢٢٢ س ٤ « ولدوي مليحا في هذا الباب نفخ » وفي الحاشية أنّ هذا ورد في نسخة ب ولم يتبين الشارحان من هم ذوو مليحا . قلت : هو مكيخا الجاثليق كان ببغداد وأخباره في « كتاب بطاركة كرسي المشرق » لماري بن سليمان ، وذووه : أصحابه من النصارى .

ص ٢٢٨ س ٩ « سرحني رسولاً ... أو إلى أبي السؤل الكردي » وفي الحاشية أن أبا السؤل ورد بهذه الصورة ولم يهتديا إلى وجه الصواب فيه . قلت : إنما هو أبو الشوك الكردي المشهور في حوادث القرن الرابع للهجرة كما في الكامل وتجارب الأمم وغيرهما .

* * *

هذا ما استطعت التنبيه عليه بعد قراءة سريعة والإبانة عنه بعد التأمل والروية ، وهو يسير — كما قلت — بالإضافة إلى هذا الجزء الناخر الذي تدل العناية الفائقة بإخراجه على علم وفضل وتبحر واستفراغ للطاقة وحرص في الحفاظ على تراث الأمة الأدبي . فللأستاذين الناشرين أتم الشكر وأطيب الثناء .

مصطفى جواد

٥ – المسائل

الأديب وحرفته

كما أن الأدب لا وزن له إذا غلَّته القيود سواء أتته من جهة السياسة أو من جهة الاجتماع أو من جهات أخرى، كذلك الأديب لا يصدق إنشاؤه ولا يعظم شأنه إلا إذا انطلقت يده فاطمأن قلبه إلى صناعة الكتابة. والأديب أو المنشئ لا بدَّ له من حرفة يحترفها تكون مرتزقه، وذلك لأن الإنشاء لا يدرّ عليه، في غالب الأمر، ما يقيم عيشه ويسدّ حاجته. تلك حال الأديب من الزمن الأول حتى اليوم — تلك حاله في أوربة لهذا العهد، وإن قيل لنا إنّ الأدب هناك سوقه نافقة، وإن زعم زاعم أنّ متعاطيه هناك لا يشكو الضنك بل ربما أثرى. ولا ريب أن تلك حاله أيضاً في بلداننا الناطقات بالعربية. ومطلبي أني أعني الأديب المخلص لفنه، الحابسَ همه على محض الأدب، لا الواغل على أهل تلك الصناعة، ولا المنعطفَ اليها عن هوًى عارٍ، ولا المتخذَها وسيلةً أو آلية.

وللأديب أن ينجو من هذه المشكلة فيعدلَ عن اختيار حرفة يتكسّب بها، قد يكثر معها التصرف والتقلب، وذلك بالانزواء والقناعة بكفاف الرزق والاجتزاء بقسمة القدر، بما يتطرّ له الحين بعد الحين من هنا ومن هنا. فتكون سيرته من سيرة شيخنا أبي العلاء الحبيس. غير أن الزهد والتقشف لا يقدر عليهما إلا الأقلون. وليس لهذا النحو من العيش أن ينتصب قاعدةً يُجرىَ عليها. وللأديب بعد هذا أن يحظى بعطف ملك أو كبير يتربّه ويؤثره ويقدرهُ، فيجري عليه راتباً أو يصله مرة بعد مرة، لوجه الرعاية. على أن هذا الفوز من الحظوة، وإن كان شائعاً في العصور الماضية ولا سيما عند العرب، لنادرٌ حدوثه اليوم. وإن وقع، فلغاية معلومة. ولكنه كثيرُ الحدوث للعالِم، ومن الأدلة على هذا تلك الأموالُ المرصودة للعامل والمخابر والمعاهد ثم للرحلات والتنقيبات والتجارب... عهدُنا اليوم أوفر انصرافاً إلى حقائق العلم منه إلى رقائق الأدب. وفي هذا عجلة للعصرة، ففي الأدب غذاء وحبور لا تجدهما والله في لظى العلم الصرف.

• • •

٥ حديث أذاعه الكاتب من « راديو الشرق » ببيروت في ١١/٦/١٩٤٤

هذا ، والحق أن الأديب يشق عليه أن يختار حرفة تباعد فنه وتغاير خطته ، إذ أنه منجذب إلى صناعته ، محوّلٌ اليها سكناته وحركاته ، مشغولٌ بها في يقظته وغفوته . لذلك نرى الأديب في عصرنا هذا قليلا ما يزاول صناعة تحيد عن طريق فنه أو تفلت من سلكه . فهو موزّع بين التدريس والصحافة والتأليف المتعل . وإن خرج منها فهو في أكثر الحال موظّف سواء عليه أساريت وظيفته هواه الأدبي أم جانبته .

وفي رأيي أن في تلك الحرف الثلاث ثم في التوظف ما قد يضر بصناعة الأدب وينقص من ثقافته :

أما التدريس ، ضدنا على وجه التخصيص ، فيحصر الذهن في الكلام المعاد سنة بعد سنة . وأخوف من هذا أنه يفرق من ممارسة في الكتب والكراريس ، ويلزمه لوناً أو لونين من التفكير ، ويدفعه إلى الاستبحار في اللون أو اللونين ، ويلبثه قليلاً أو كثيراً عن سواهما ، فيحبط الادراك من جهة ويقبضه من جهة . ثم إن الكراريس والكتب تيسر التلقف والاقتطاف من غير إعمال الروية . وعلى هذا نبه قديماً إمامنا الجاحظ ، وهو يلهو في إحدى رسائله — ولعلها « التربيع والتدوير » — بالسَّحْتي ، وكأنه يريد ما يقال له في الفرنسية livresque والانجليزية bookish ، وهو المتلقي معارفه من بطون المجلدات . هذا ، والتحقيق أن تصفح وجوه الحياة كما يرى الفيلسوف الفرنسي ديكارت Descartes وتدبر مطاوي النفس كما يرى المفكر الألماني نيتشه Nietzsche إنما هما مصدرا الفهم الأعلى والحس الأوفر . ثم إن تكرار الحديث سنة بعد سنة ، أو تناول الموضوع الواحد موسماً بعد موسم ، يولد في الذهن مثل الركود والفتور ، على حين الأدب كما أظنك تعلم : وثّاب وفوّار .

وليس خطر التدريس على صناعة الأدب بشيء إلى جنب خطر الصحافة . ولا يزال الجمهور يخلط الأدب بالصحافة ، بل إنك ترى صحافيًّا ينزل نفسه منزلة الأديب لأنه يرفع الفاعل وينصب المجرور — وقد لا يرفع ولا ينصب ! — ولست بمعارض هنا هذا الضرب من الصحافيين المقتحمين سلك الأدب المنتحلين اسمه على غير استبصار ، ولكني أريد الأديب الذي يشتغل بالصحافة ويرضى بها حرفة له . والكلام على سوء أثر الصحافة في الأدب المحض يطول ، فحسبي الاشارة إلى أمرين :

الأول أن الصحافة أساليب ، من ينتهجها طويلاً يجر عليها في طريق الأدب من حيث لا يحتسب . ومن هذه الأساليب العناية بالحادث فرق العناية بما خلف الحادث من الأسباب

الدقيقة وما بعده من السيئات الجلية : فلا فوض على البعيد ولا تهيل عند الخطير . بل الهم منصرف إلى الحاضر بظواهره ، وليس الحاضر بالنقطة الثابتة حتى ينظم شأنه ولا بالجوهر القائم حتى تتحدد حاله . وأما الأمر الثاني فالسرعة التي يضطر اليها الصحافي إذا كتب : فالخبر أو المقال يجب أن ينشر اليوم أو في غد ، والقارىء منتظر ملحّ . فالصحافي لا يتسع له مجال التبصر ، ولا تُرى الصحف يقوى على ما لطف مرماه وبعد مغزاه .

هذا ، ومن أثر الأمر الأول — وهو الوقوف عند الحاضر الظاهر — أن الأديب يعتاد الكتابة الهينة القريبة ، فلا تشغله علل الحوادث ولا تزعجه معاير الأمور . وأما الانسانية فتنزل عنده منزلة القافلة التي أناخت وسط الصحراء واطمأنت لهمدت ، لا القافلة التي تقطع المراحل وتتوثّب فتشقى ثم تنعم ، ويأخذها السراب ثم تنكشف لها البئر ، وتدنو من الهلاك ثم ينجيها الأمل الرفاف .

ومن أثر الأمر الثاني — وهو التسرع في الكتابة — أن الأديب متى ينشئ ينصرف عن التأمل والتفهم في باب التفكير ويهمل التهذيب والتشذيب في باب التعبير — وما أعرف آفة أضرّ بالأدب من التسرّع ... الأدب الحقّ ولادة مُتعسِّرة — أريد جهة التفكير لا جهة الأداء .

ثم يلحق بهذين الأثرين أثر ثالث لا بدّ لي من ذكره خطفاً . وهو اعتراف الأديب الصحافي إلى الجدل والمحك ، وذلك لأن حرفته تسوقه إلى الدفاع والهجوم من هوًى أو تجاوب ، فليست الحقيقة التي تجذبه وتتلقاه ، ولكن الغلبة والانتصار وليس في هذا الأسلوب ما يُغني أو يُثري .

* * *

وأما حرفة التأليف المتصل ، فهي أكثر الأدباء أنها ألبق بهم وأنفع لهم . والحقّ أنها بضد ذلك أو بخلافه . ودعني أمثّل لك بدلاً من أن أحكم على سبيل التجريد في الكلام . وليكن مثلي الذي أختاره ما يجري حولك الآن في ميدان النشر . فهذه دور الطباعة همُّها إخراج الرسائل والكتب إلى القراء إخراجاً متواصلاً متعاقباً . فهي لذلك تقصد الأدباء ، وهي تزين المحررين منهم المشهورين رغبةً في الرواج وطمعاً في الكسب . وينشأ عن ذلك أن هؤلاء الأدباء — إلى جنب سائر أعمالهم ، مثل إنشاء المقالات وإلقاء المحاضرات — ملتزمون بدفع كتاب أو أكثر من كتاب في السنة الواحدة . فمن أين

الوقتُ الذي يشرَعب فيه الموضوع ، وتنضج الفكرة ، ويستوي التأليف ، ويستقيم الأداء ؟ وقد وقع بعض هذه الكتب بين يدي في السنة التي نحن فيها ، وهي التي نشطتْ فيها المطابع فتواردت غراتُها . فوجدتُ تلك الكتب — في جملتها — فجةً أو ذاوية ، وعلى أكثرها طابَع الارتجال . ولا يكاد يكون فيها كتاب يغذو الضمير أو يثير الفكر أو يشق أفقاً أو يرفع حجاباً . ذلك أدب رخيص أو كالرخيص . وشرّ ما في الطريقة أن الناشر يقترح الموضوع على الكاتب ، أو يقيده في سلسلة معيَّنة ، كأنما الأديب رَهنٌ للتاجر أو طوعُ السوق .

بقيت حرفة الوظف ، وهي خارجة عن الصناعة كما قدَّمتُ لك ، وضررُها أنها كثيراً ما تولد في النفس فتور الذهن وقعود الهمة ، وتطرد من الطبع فضيلةَ الحرّ وثورةَ الشامخ . فإن استطاع الوظف أن يجاهد ما يتولد في نفسه ، ويستردّ ما يُطرَد من طبعه ، شرفته مكنته من معالجة الأدب في تفلغل وروية وتمهل واستقلال .

وليست تلك الحرفُ كلَّ ما يتقدّم بين يدي الأديب ، فهنالك حرفٌ أجنبية عن دائرة القلم والمداد . هنالك الحرف اليدوية مثلاً . وقد أومى بالاقبال عليها أمثالَ الفيلسوف الفرنسي رينان Renan وتولستوي الروسي . وربما كانت فئة من أدباء العرب يتكسبون ، ولا سيما الشعراء : كان فيهم البزاز والخياط والرفاء والسقاء وغير ذلك ، وهم في سلَّم القيم الانسانية أرفع مرتبة وأجل شأناً من الأدباء الطفيليين ، أولئك الذين رَضُوا بالمديح تارةً والهجاء أخرى ، مرتزِقاً . فأقبح بهم ، وإن كان فيهم أضراب الأحطل وبشار ، وما يحزن النفس أنّ هؤلاء الجناة على جوهر الأدب أدناباً في العهد الذي كُتب لنا أن نعيش فيه ، وقد توافر فيه التملّقُ والتجريس .

* * *

وبعدُ ، فلم أعرض هنا إلا للحرف التي يختارها أدباؤنا . فأشرت إلى ما فيها من النواحي التي تضر بالإنشاء ، ولعلي لم أتحكم ولم أجازف . وإنما غرضي أن أنبه وأن أبين ، وأما هي فنصون البهاء الذي في الأدب وحوط الجلال الذي يلفه .

بشر فارس